



المركز الجامعي أحمد بن يحيى الوفشريسي
تيسمسيلت

المعيار

في الآداب والعلوم الإنسانية
والاجتماعية

مجلة دورية محكمة

إصدارات المركز الجامعي تيسمسيلت

العدد 19 ديسمبر 2017

SSN 2170-0931

شارك في هذا العدد

د.د. نورة عابد، د. آسيا واعر،
بن هلال سارة العالية، أ.د. كحلي عمارة،
د. ساسي سفيان، عبد القادر كباس، د. بشير دردار،
فريدة أولمو (الزيتوني)، د. قاسم قادة بن طليب،
ملال صافية، د. كبكاني خديجة، د. رزايقية محمود،
د. خروني محمد فيصل، د. بن نعمة محمد، د. بن رايح خير الدين،
أ.د. واضح أحمد الأمين، الباحث بعزي رضوان، الباحث قندوزان نذير
د. جبوري بن عمر، د. كحلي كمال، أ. بوعزيز محمد
د. ريوح صالح،

المعيار

في الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية
مجلة علمية محكمة تصدر عن المركز الجامعي أحمد بن يحيى الونشريسي
تيسمسيلت - الجزائر

العدد 19 ديسمبر 2017

ISSN-2170-0931

المعيار

العدد 19 ديسمبر 2017

مجلة علمية محكمة تصدر عن المركز الجامعي أحمد بن يحيى
الونشريسي تيسمسيلت - الجزائر

ردمك ISSN 2170-0931

البريد الإلكتروني: www.asjp.cerist.dz (العلوم الاجتماعية)

رئيس المجلة:

أ. د. دحدوح عبد القادر

المدير المسؤول عن النشر:

د. عيساني محمد

رئيس التحرير:

د. مرسي رشيد

نائب رئيس التحرير:

د. بشير دردار، د. واضح أحمد الأمين

هيئة التحرير:

د. فايد محمد، د. عطار خالد، د. صالح ربوح، د. سعاديدة الهواري، د. بوعرعة محمد، د. مصايح محمد، د. بن راجح خير الدين، د. بوسيف

إسماعيل،

د. يونس محمد

الهيئة العلمية:

من المركز الجامعي تيسمسيلت: د. بن فرجة الجلاي، د. بوركبة بختة، د. أحمد واضح أمين، د. تواتي خالد، د. ربوح صالح، د. غري بكاي، د.

شريف سعاد، د. يعقوبي قدوية، د. قاسم قادة، د. مرسل مسعودة، د. بن علي خلف الله، د. بلمصايح خالد، د. رزايقة محمود، من جامعة ابن

خالدون تيارت:

أ. د. بوزيان أحمد، من جامعة صفاقس، تونس: أ. د. عبد الحميد عبد الواحد، د. بوكري بن عبد الكريم، من جامعة المنصورة، مصر: د. محمد كمال

سرحان، من جامعة طرابلس، ليبيا: د. أحمد شرراش، من الجامعة الأردنية، الأردن: أ. د. صادق الحايك، من جامعة الجزائر 03، الجزائر: د. فتحي

بلغول، من جامعة ملين دباغن، سطيف: أ. د. بوطالي بن جدو، من جامعة وهران: أ. د. مختار حبار، من جامعة سيدي بلعباس: أ. د. محمد

بلوحي، من جامعة سعيدة: د. عبد القادر راجي، من جامعة تلمسان: أ. د. محمد عباس، أ. د. عبد الجليل مرتاض، من جامعة تيزي وزو: أ. د.

مصطفى درواش، من جامعة مستغانم: د. منصور بن لكحل، من جامعة زيان عاشور، الجلفة: د. حري سليم، من جامعة حسنية بن بوعلي،

شلف: أ. د. حفصاوي بن يوسف، أ. د. موسى فريد، د. مخلوف أوسماعيل،

UNIVERSITIE PAUL SABATIER TOULOUZE 03. FRANCE: CRISTINE Mensson.

شروط النشر وضوابطه

تراجعى في المقال الشروط التالية:

- 1- أن لا يكون المقال قد سبق نشره أو قدم لمجلة أخرى للنشر (تعاهد مضى من قبل المعنى).
- 2- كل المقالات تخضع للتحكيم.
- 3- لا يقل البحث عن عشرة صفحات ولا يتجاوز خمسة عشر صفحة.
- 4- بالنسبة للغة العربية يكون الخط ب Traditional Arabic في متن المقال بحجم 16 بفارق طبيعي بين السطور Simple 0/0، أما الخط في اللغات الأجنبية الأخرى فيكون بـ Roman Times News بحجم 12 بفارق طبيعي بين السطور Simple 0/0
- 5- المصادر والمراجع تكون في آخر المقال، وبطريقة يدوية ولا يستعمل فيها التهميش الأوتوماتيكي، حيث يذكر المؤلف، ثم عنوان الكتاب، دار النشر، المدينة، البلد، رقم الطبعة، سنة الطبع. وأخيرا الصفحة.
- 6- المجلة: المؤلف، "عنوان المقال"، عنوان المجلة، الرقم، السنة. وأخيرا الصفحة.
- 7- كتاب جماعي: المؤلف، "عنوان الفصل"، ضمن (عنوان الكتاب)، منسق الكتاب، الطبعة، المدينة، دار النشر، وأخيرا الصفحة.
- 8- الأطروحات: المؤلف، (السنة)، عنوان الأطروحة، أطروحة دكتوراه تخصص.....، الجامعة، البلد.
- 9- يرفق المقال أو الدراسة بملخص باللغة الانجليزية أو الفرنسية، في عشرة أسطر (150 كلمة على الأكثر) مع عشر كلمات مفتاحية
- 10- على الأكثر) على أن يعبر عن محتوى المقال المقدم للنشر.
- 10- كل مقال غير قابل للنشر لن يعاد لصاحبه واللجنة العلمية تعلمه بنتائج تقييمه العلمي وفق التحكيم.
- 11- يقدم صاحب المقال عنوانا لضمان مراسلته من قبل هيئة تحرير المجلة.
- 12- يمكن لصاحب المقال المنشور الاطلاع عليه في الموقع الالكتروني للمركز الجامعي .
- 13- الأعمال المقدمة لا ترد إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.
- 14- المواد المنشورة تعبر عن آراء أصحابها، والمجلة غير مسؤولة عن آراء وأحكام الكاتب.

ترسل المقالات البوابة الإلكترونية www.asjp.cerist.dz

مجلة المعيار

كلمة العدد

بعد دخول مجلة **المعيار** إلى بوابة النشر الإلكترونية ASJP.cerist.dz في عدديها التاسع عشر والعشرين، تكون قد حققت خطوة جبارة في الانضمام إلى الفضاء العلمي الجامعي المحكم.

احتوى العددان كعادتهما على أبحاث متنوعة، في الآداب والعلوم والإنسانية والاجتماعية، فجمع هذا العدد المقالات التي تناولت مواضيع ذات الصلة بكل ماهو أدبي، إنساني واجتماعي، كمفهوم الثقافة الجمالية في الحضارات والابداع الشعري القديم بين هاجس الإبداع وسلطة الرقيب، وأزمة الفكر العربي المعاصر، والفلسفة والتاريخ. ليختتم بأبحاث اجتماعية أخرى في النشاطات البدنية والرياضة، الكفاية التدريسية لأستاذ التعليم الثانوي وعلاقتها ببعض المهارات الحياتية (التواصل) لدى تلاميذ المرحلة الثانوية أثناء حصة التربية البدنية والرياضية. هذا عن العدد التاسع عشر.

في حين جاء العدد العشرون متنوعا بين الحقوق والعلوم السياسية والاقتصادية، فكانت مواضيعة الحقوقية والسياسية تتحدث عن الشريعة والقانون، وعن أسعار النفط ودور الميزانيات العامة للدول، والبرصة الجزائرية ودورها في التنمية، وواقع القيادة في المؤسسة وتنمية الموارد البشرية.

المدير المسؤول عن النشر

د. عيساني احمد

فهرس الموضوعات

- د. عيساني امحمد : ص 04
- كلمة العدد.
- د. نورة عابد : ص 06
- مفهوم الاختلاف في فلسفة هابرماس
- د. آسيا واعز : ص 16
- الهوية العربية الإسلامية من الاعتزاز إلى الاغتراب
- بن هلال سارة العالية/ أ. د. كحلي عمارة : ص 30
- الجمالية في الخطاب الإشهاري المطبوع بين الشكل والوظيفة
- د. ساسي سفيان : ص 47
- قراءات في أزمة الفكر العربي المعاصر
- عبد القادر كباس/ د. بشير دردار : ص 59
- الشاعر القديم بين هاجس الإبداع وسلطة الرقيب مقارنة ثقافية في عمود الشعر العربي
- فريدة أولو (الزيتوني) : ص 71
- الفلسفة ومفهوم الثقافة الجمالية بين الحضارات.
- د. قاسم قادة بن طيب : ص 88
- معالم من النظرية التعليمية في أسلوب كتاب المعيار للنشرسي
- ملال صافية/ د. كبدي خديجة : ص 99
- المشكلات النفسية والسلوكية لدى طفل الروضة قلق الانفصال نموذج
- د. رزاقية محمود : ص 117
- السبك والحبك في التراث اللغوي العربي دراسة في الأبعاد الوظيفية
- د. خروبي محمد فيصل. د. بن نعمة محمد. د. بن رايح خير الدين. أ. د. واضح أحمد الأمين : ص 133
- توجه المنافسة الرياضية في ظل مصادر ضغوط المنافسة لدى أواسط كرة القدم (17- 19 سنة)
- الباحث بعزي رضوان، الباحث قندوزان نذير : ص 150
- الكفاية التدريسية لأستاذ التعليم الثانوي وعلاقتها ببعض المهارات الحياتية (التواصل) لدى تلاميذ المرحلة الثانوية أثناء حصة التربية البدنية والرياضية.
- د. جبوري بن عمر، د. كحلي كمال، أ. بوعزيز محمد : ص 166
- إسهامات ممارسة الأنشطة البدنية والرياضية في تحقيق التوازن النفسي لدى التلاميذ بالمؤسسات التعليمية.
- د. ريوح صالح : ص 178
- وحدات تعليمية مقترحة باستعمال أسلوب التدريس (التضميني والتدريبي) وأثرهما على الإنجاز الرقي لنشاط القفز الطويل لدى تلاميذ المرحلة الثانوية

الهوية العربية الإسلامية من الاعتزاز إلى الاغتراب

د. آسيا واعر أستاذة وباحثة أكاديمية

جامعة باجي مختار - عنابة-

ملخص

إنّ الهوية هي حقيقة الشيء من حيث تميزه عن غيره، والمتأمل في الهوية العربية الإسلامية يجد أنّها هوية تتأرجح بين جدل الطبع والتطبع وبين ثنائية الشدة والوهن ففي الوقت الذي تتسم به بالتمسك بأصالتها وبالاعتزاز بذاتها وهذا ما استقرئناه من واقعها ببعديه الزمكاني ومن معظم الأزمات التي حلّت بها: أزمات اقتصادية، ثقافية، أيولوجية، (...) إلخ متصدية في كلّ ذلك لكل من حاول أن يمس بها أو بإحدى مقوماتها، نجدّها في الوقت ذاته لا تمنع أبداً في الانسلاخ التام من ذاتها متقمصة بذلك هوية الآخر في معتقده، فكره وفي ثقافته؛ مفارقة طالت أصعدة وأفق كلّ ما يسوس الهوية العربية الإسلامية الأمر الذي بات يشكل رهانا حول ما يمكن أن تؤول إليه.

الكلمات المفتاحية:

هوية، مقومات، قوة، حضارة، اعتزاز، ضعف، اضمحلال، ضياع، اغتراب.

Résumé

Identité c'est Ensemble des données de fait et de droit qui permettent d'individualiser quelqu'un, c'est Caractéristique de deux ou de plusieurs objets de pensée, qui, tout en étant distincts par le mode de désignation, par une détermination spatio-temporelle quelconque, présentent exactement les mêmes propriétés, cette étude porte sur l'identité islamique arabe qui a été dans le vieux temps dans un bon état de force, dignité et gloire, mais malheureusement ces dernières spécifications on le trouve plus maintenant car elle est devenue une identité perdue.

Mots clés: Identité- puissance – civilisation- dignité- faiblesse- décroître-

1- مقدمة

إنّ الإنسان حيوان اجتماعي بطبعه، فهو لا يستطيع أبداً أن يعيش بمعزل عن الجماعة، ولأنه كائن إنساني اقتضت الحاجة البيولوجية والنفسية هذا التجمع، والذي كان في صوره الأولى على شكل بسيط تمثل في- الأسرة - هذه الأخيرة التي تُعد كأول تجمع بشري عرفه تاريخ الإنسانية، أين يكون التعايش والتواصل المبدئي، ثم شكّلت مجموع الأسر تجمعا بشريا آخر تمثل في الأحياء، وبمجموع الأحياء كانت المدن، وبمجموع المدن كانت الدول، وبمجموع هذه الأخيرة كان هذا العالم الذي نعيش فيه.

ومع أنّ الفرد واحد في تكوينه البيولوجي والنفسي إلاّ أنّه يختلف في سلوكياته اليومية وفي تصرفاته، وفي العديد من أساسيات تكون شخصه وهويته الفردية، هذه الأساسيات التي تكون تباعاً لانتماؤه لحيز جغرافي خاضع لأنظمة سياسية اقتصادية اجتماعية ثقافية فكرية عقائدية يمثل لها كما يمثل لعاداته وتقاليدته وأعرافه باعتبار أنه كائن له تراث يوجه حاضره ويأسس لمستقبله، فخضع التعارف بين الأفراد إلى هذا الانتماء الزمكاني وما يحويه من أساسيات ونظم وضعية: كاللغة، التاريخ، العقيدة، التراث، الأنظمة الاقتصادية والسياسية، الأمر الذي دعا إلى ابتكار ما يميز كلّ - دولة - عن غيرها بوضع رموز وأمور أخرى تمثلت في: العلم، الجنسية، الحدود، (...) إلخ، وبذلك أصبح كلّ فرد يحمل سماتاً وميزات معينة تخصه عن باقي الأفراد، وبها وحدها يستطيع أن يثبت انتسابه وكيانه، فقضية الانتساب لا تكون إلاّ بما يحمله الفرد من دعائم وأساسيات تشكّل هويته، وإذا قلنا هوية فإننا نقصد بذلك ما تحويه الذات وما تقوم به من: اللغة، المعتقد، العادات والتقاليد (...) إلخ، وتعبير آخر هي:

2- تعريف الهوية:

هوية الشيء هي عينيته وتشخيصه، وخصوصيته التي ندرکها بالجواب عن سؤال ما هو؟، إنها "ميزة فرد، أو كائن يمكن من هذا الوجه تشبيهه بفرد يقال عنه أنه متمم، أو أنه هو ذاته في مختلف فترات وجوده"⁽¹⁾، وتطلق الهوية على معانٍ مختلفة منها: الهوية العددية والتي تُطلق على الشيء من جهة ما هو واحد ومن جهة كونه هو هو، والهوية الشخصية والتي تطلق على الشخص باعتباره يبقى هو هو رغم ما قد يطرأ عليه من تغيرات خارجية، الهوية الكيفية وهي صفة موضوعين من موضوعات الفكر إذا كانا رغم اختلافهما في الزمان والمكان متشابهين في كفيات واحدة، والهوية المنطقية وهي علاقة التساوي بين شيئين اثنين، كالهوية الرياضية أو المساواة الجبرية⁽²⁾.

والملاحظ على هذه المعاني المختلفة للهوية أنّها تشترك في نقطة واحدة وهي الوقوف على العناصر المتشابهة التي لا تتغير بتغير الزمان والمكان، فمهما يكن، فإنه يبقى للشيء هويته التي تميزه عن غيره والتي لا تتبدل أبداً، إنّها الرمز أو "العامل المشترك الذي يجمع عليه كلّ أفراد الأمة، أية أمة من حيث الاكتساب والتعلق والولاء والاعتزاز، هي الذات الجماعية لأفراد الأمة كلّهم، والمسّ بها يمسّ كيان الأمة كلّها، ويمسّ بكلّ فرد منها على السواء لأنّه شكّ في الماضي وطعن في الحاضر ويأس من المستقبل"⁽³⁾

إنّ الهوية الفردية والتي تشكل بدورها الهوية الجماعية هي في حقيقتها رمز وعامل أساسي تقوم عليه الدول، إذ تعبر عن أبعاد أيديولوجية علمية وثقافية سياسية اجتماعية واقتصادية، فالهوية أساس قيام الدول والأمم.

3- مقومات الهوية

هناك مجموعة من الأسس التي تقوم بها الهوية وتتحدد ها يمكن إجمالها فيما يلي:

أ- اللغة:

تعتبر اللغة أداة التواصل والتخاطب بين أفراد المجتمع الواحد، هي وسيلة للتبليغ والتفاهم والتعايش، بها يستطيع الفرد أن يعبر عن مكنوناته الداخلية وعما بداخله، إنها روح الفكر وجسده، فغالبا ما تصل الفكرة إلى الآخر عن طريق اللغة، كما أنها رمز من رموز الوحدة الوطنية فلا وجود لوطن دون لغة رسمية تخصه، لذا كانت اللغة أهم مقوم لمقومات الهوية الفردية، و"بضياها تضع الهوية تباعا"⁽⁴⁾.

إنّ المقال الذي كتبه ساير عام 1922م جعل من التصريح التالي يحدد الخطوط الكبيرة التي يتطرق إليها البحث في اللغة والهوية، إذ جاء في مقاله أنّ: "اللغة قوة كبيرة من عملية التنشئة الاجتماعية ومن المحتمل أن تكون الأكبر، وهذا لا يعني فحسب الحقيقة الواضحة التي تفيد بأنّ العلاقات الاجتماعية المهمة لا يمكن لها أن تكون واقعا من دون لغة إلاّ بصعوبة كبيرة، وإنّما مجرد وجود كلام مشترك، فهذا يؤدي وظيفة رمز فعال على نحو مميز للتضامن الاجتماعي بالنسبة إلى أولئك الذين يتكلمون اللغة، وأنّ الدلالة السيكلوجية لهذا تتجاوز بعيدا ارتباط اللغات بالقوميات أو الكيانات السياسية، أو المجموعات المحلية الصغرى"⁽⁵⁾.

ب- الدين:

وهو المعتقد والغاية الأسمى من هذا الوجود، هذا المعتقد الذي يرتبط أساسا بوجود عالم آخر وحياة أخرى غير الحياة الدنيا، وبالمفهوم الواسع عرّف على أنّه المجموع العام للإجابات عن استفسار علاقة الفرد بهذا الكون، ومن منطلق المعتقد أخذ هذا الأخير في بلورة السلوك وفي توجيهه إذ أخذ الباطن وما يحمل من معتقدات عن الحياة الأبدية يترجم وبشكل آلي كل تصرف في هذا الوجود بغية الفوز بالجنة والنجاة من النار، ففي الشريعة الإسلامية اعتبر أنّ "الدين المعاملة" فالدين الحق هو في حسن الخلق والتزام الأدب مع الآخر، لذا أخذ الدين يبلور السلوك الفردي كلّ حسب معتقده وكل حسب شريعته فأسس بذلك لهوية لها سماتها وميزاتها، فالمسلم غير المسيحي غير اليهودي غير المجوسي في تعامله وتصرفه المطبق بحسب ما يمتلك من عقيدة، والإسلام قد "أحلّ وحدة العبادة محلّ التعدد، ورفض العصبية القبلية المفرقة، وأحلّ رباط العقيدة محلّها، ونبذ الأعراف القبلية وأقام قيما ومثلا لا مثيل لها، كما فرض الجهاد في سبيل العقيدة وحفظ الأمة كما أتى بقضية الأمة المستندة إلى معتقدها والتي كان من أسسها المساواة والتفاضل بالعمل وحرمة الفرد والتأكيد على الشورى كأساس للحكم"⁽⁶⁾.

ت- التاريخ

إنّ أهم ما يجمع الجماعة ما كان من ماضيها وما حفظت ذاكرتها من أحداث مضت وولت، فالتاريخ يحوي نشاط الفرد في الزمان والمكان، فتجد الكلّ يتوحد ويشترك في الشعور والإحساس بالماضي الذي كان سببا رئيسيا في تنشئة ظروف الحاضر بشكل أو بآخر، فالتاريخ يعد كدافع للتكتل والتآزر في مواجهة التحديات والتحرر من أجل المستقبل من خلال توجيه ما كان في الماضي من أخطاء أو ما تعايشته الأفراد من طغيان الاستعمار واضطهاد الحكام، كلّ هذا يولد في نفسية الفرد انتماء مشترك في تجربة ماضية قد اشترك الجميع في تحملها وفي السيطرة عليها بأخذ الأسباب اللازمة من حسن التدبير والتصرف والشجاعة في مواجهة الآخر المستبد. فالهوية في أساسها هي خلاصة لماضي التجارب الإنسانية، الثقافية والحضارية.

ث- الثقافة:

الثقافة هي تعبير عن سلوك الفرد في أشكال متعددة من السلوكيات اليومية، من انتهاجه لطريقة مأكله، مشربه، ملبسه، تخاطبه، إنّه الصورة التي تعرض بحق مكون الفرد في معتقده وتوجهاته الفكرية، كما تترجم درجة مدى تأثيره بالآخر، الآخر من ذوي هويته أو من هوية مغايرة، فالثقافة تسقط نظامها على الأفراد، فنجد أهل البلد الواحد يتشابهون في هياكلهم، ويجمعون على عادات وتقاليده وأعراف معينة، كما يتجسد ذلك في طريقة عيشه وكسبه، في النهج التربوي، وآداب سلوكياته وفي غيرها من صور الحياة، "فالعناصر والفئات التي يتألف منها المجتمع وإن تفرقتهم أزمنتهم، فإنّه يجمعهم المكان الواحد، أي تجاورهم وتعايشهم، فخضعوا لأحكام واحدة، فبرزت بينهم صلات من التعاون والتآلف والتآزر الأمر الذي جعلهم يتمثلون في طرق الإنتاج والاستهلاك، وفي أشكال التنظيم والاجتماع، وفي أساليب التعليم، وقد ساهم هذا كله في تماثلهم من حيث الفضائل الخلقية والأذواق الفنية والملكات الفكرية والمهارات التقنية، فكان ذلك التماثل يمنحهم هوية ما ويكسبهم خصالا ينفردون بها من دون غيرهم"⁽⁷⁾.

ج- البعد السياسي:

تلعب الأنظمة السياسية دورا فعالا في تشكيل الهوية الفردية ومنه في تشكيل الهوية الجماعية، فإذا كان الفرد يعيش تحت ظل دولة عادلة حتما سينعكس هذا على شخصيته ويمده بعناصر الافتخار والقوة ومنه إلى الاعتزاز والافتخار بهويته، وبالمقابل إذا كان يعيش في ظلّ دولة مستبدة فهذا أيضا سينعكس ليكون شخصية ضعيفة، مقهورة من الظلم والجور والطغيان، تسعى لإيجاد حلّ للخلاص من العذاب والذل. إذ الهوية تقوم أساسا على الحرية، "لأنّها إحساس بالذات والذات حرّة، والحرية قائمة على الهوية لأنها تعبير عنها"⁽⁸⁾.

ح- البعد الاقتصادي:

والأمر نفسه في الجانب الاقتصادي، فإذا كان فيه رخاء سيحي الفرد حتما حياة كريمة، سعيدة أما إذا كان الاقتصاد متدهورا فهذا سيولد ضغطا وينجب أفرادا يفرون من هويتهم ويطمحون إلى تقمص هويات غير هويتهم الأصلية وهذا ما سنراه لاحقا وتحديدا في الهجرة غير الشرعية.

وإذا كان هذا ما يشكل مقومات وأسس الهوية فإننا نجد أنها قد تعددت واختلفت باختلاف هذه المبادئ من بيئة لأخرى ومن دولة لأخرى ومن أمة لأخرى، الأمر الذي وضعنا أمام إشكال طبيعة الهوية الإسلامية ما حقيقتها وما هو المنحى الذي اتخذته عبر تاريخها الطويل لنجد أنها قد امتثلت للدور الحضاري الذي قال به ابن خلدون، فمن هوية تسطع في الأفق الإنساني إلى أخرى تنسلخ عن ذاتها مغتربة ضائعة بين ويلات السقوط وعلامات الانهيار، فما تفصيل ذلك؟

4- الدور الريادي للأمة العربية الإسلامية في الحضارة الإنسانية:

تعتبر الأمة العربية الإسلامية من بين أبرز الأمم التي عرفها تاريخ الفكر الإنساني وهذا انطلاقا من الدعوة المحمدية التي جاء بها نبينا "محمد صلى الله عليه وسلم"، إنها دعوة لتنوير القلب والعقل معا، واضعا بها النهج السليم لحياة إنسانية كريمة، في جميع المجالات العقدية والفكرية والأخلاقية والاجتماعية الاقتصادية والسياسية، ليؤسس حضارة إنسانية نرى أنها قد كانت من أبرز الحضارات الإنسانية بإطلاق ذلك أنها اهتمت بحضارة الإنسان من جانبيه الروحي المعنوي كما اهتمت بجانبه المادي أيضا، فرفعت بالفرد إلى أرقى رتب الإنسانية وإلى أرفع درجاتها وهذا من خلال الامتثال لتعاليم الدين الخفيف، الذي يبحث على تعقل وتدبر ملكوت السموات والأرض كما يبحث على الكد والعمل، محددًا سبل العيش الكريم، والحياة الراقية التي يحلم بها كل فرد؛ ويمكن أن نجمل أهم مظاهر الحضارة الإسلامية في:

أ- التطور والازدهار العلمي:

امتازت الحضارة الإسلامية بغزارة إنتاجها العلمي المعرفي في جميع ميادين الحياة الإنسانية، كما شهدت عقولا أبدعت في شتى النواحي الفكرية، مبتدئة بدرس النصوص الشرعية أولا والتفقه فيها، معرجة إلى باقي العلوم الأخرى⁽⁹⁾، التي نبغت فيها كما وضعت أساسها للإنسانية قاطبة، فعرف الفكر الفلسفي نوابغ أمثال "محمد بن باجة"، "ابن رشد"، "ابن طفيل"، "ابن سينا"، وكل هؤلاء قد أتوا بنظريات في الحقل الفلسفي تضاهي في عمقها ودقتها تلك التي أتى بها أساطين الفكر الفلسفي "كسقراط" و"أفلاطون"، "وابن خلدون" مؤسس علم العمران البشري، وهوما يعرف اليوم بعلم الاجتماع، نجده قد أفاد الإنسانية بمجموع النظريات التي أتى بها في هذا الحقل المعرفي، وتجدر الإشارة إلى ذكر أشهر المؤرخين، كان من بينهم: "ابن حيان القرطبي"، "الرازي"، "ابن الخطيب"، "ابن الأثير"، "الطبري"، وغيرهم، كما كان

العقل الإسلامي بارعا في علم الجغرافيا وهذا ما وجدناه في أعمال كل من: "الرازي"، "أبو عبيد البكري"، "الإدريسي"، "ابن جبير"، "وابن بطوطة"، وغيرهم، كما نبغوا في علم الرياضيات وكانوا أول من وضع لهذا العلم مبادئه وأصوله، والأمر نفسه بالنسبة للفيزياء والكيمياء والطب.

إنّ فضل الأمة الإسلامية في غزارة علمها وإنتاجها معترف به ولا يزال من قبل العديد من العلماء والمفكرين الذين تحلوا بالصدق والموضوعية، ولم تكن النهضة الأوروبية لتزفع مشعلها إلاّ على أنقاض ما نخلته من الحضارة الإسلامية؛ "فأوجست كونت" عالم الاجتماع الفرنسي نجده قد استعان بالنتائج الخلدوني وبالضبط من المقدمة، كما نجد أنّ بعضا من الإسهامات في الجغرافيا لا تزال المصدر الأول ليوم هذا، فهم أول من تحدث عن شمال أوروبا وشرقها، إذ يوجد نص جغرافي "لأبي عبيد البكري"، هذا النص الذي يعتبر أقدم النصوص لشاهد عيان قد زار مناطق شمال أوروبا في القرن العاشر الميلادي، كما يوجد نصا آخر أقدم عن زيارة "الدنمارك"، أورده "ابن دحية الكلبي" في كتابه المطرب من أشعار المغرب، وأما كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق فهو يحتوي على أربعين خريطة منها خريطة العالم، هذا الكتاب الذي ترجم إلى اللاتينية، واعتمد عليه الفكر الأوروبي لمدة تزيد عن ثلاثة قرون، والإدريسي الذي صنع كرة فضية ضخمة للكرة الأرضية ولا تزال محفوظة في متاحف برلين إلى يومنا هذا، ومن الدرس والبحث في الأرض إلى الدرس في سمائها حيث ترجمت الكتب الفلكية إلى اللغات الأجنبية للانتفاع بها، " وليست جداول ألفونسو العاشر" الفلكية في القرن الثالث عشر الميلادي إلاّ منقولات عن اللغة العربية التي خطتها الأيدي المسلمة"⁽¹⁰⁾، ومن الطرافة أن نجد استشهادا على اللسان الغربي وهو يحيي العبقرية العربية، فهذا **دولامبر** يقول في تاريخ علم الفلك: "إننا إذا أحصينا راصدين أو ثلاثة من الروم رحنا نعد كثيرين من العرب في هذا الفن، مما دل على بعد غورهم في هذا الفن"، وهذا **بيكردن** يقول: "نشأ توسع علم الفلك عند العرب من توسع الرياضيين منهم في الحساب، لأنهم اخترعوا أساس حساب المثلثات. وحققوا طول محيط الأرض بما كان لهم من الأدوات، وأخذوا ارتفاع القطب، ودور كرة الأرض المحيطة بالبر والبحر وحققوا طول البحر المتوسط"، كما يضيف في موضع آخر: "وجمع المأمون بعض حكماء عصره على صنعة الصورة التي نسبت إليه، صوروا فيها العالم بأفلاكه ونجومه، وبرّه وبحره، وعامره وغامره، ومسكن الأمم، والمدن، ... إلى غير ذلك، وهي أحسن مما تقدمها من جغرافية بطليموس، وجغرافية **مارينوس**؛ أما **دراير** فيقول: " وعرفت العرب حجم الأرض بقياس درجة سطحها، وعينوا الكسوف والخسوف، ووضعوا للشمس والقمر جداول صحيحة، وقدروا طول السنة وأدركوا الاعتدالين، ولاحظوا أمورا بعثت نورا باهرا على نظام العالم، واختص علماء الفلك منهم باختراع الآلات الفلكية لقياس الوقت بالساعات المتنوعة، وكانوا السباقين إلى استعمال الساعة الرقاصة كذلك"⁽¹¹⁾.

أما في الهندسة نجد **غوستاف لوبون** يعترف في مؤلفه " حضارة العرب " أنّ أوروبا قد أخذت تفاصيلاً في الزينة من العرب، وجدت على بعض البيع "الكنايس" في فرنسا صوراً لحروف عربية منحوتة في الحجر، وأكاليل في بعض الحصون تشبه الطراز العربي، وكثير من الكنايس في فرنسا تأثرت بالهندسة العربية، ولا سيما في المدن التي لها علائق كثيرة مع الشرق، وقد جلب الصليبيون من الشرق أصول بيت المؤذن في المنارات، والمشربيات، والمعرقات، والمراصد في الأبراج... واستخدمت فرنسا كثيراً من مهندسي الأجانب، وكان فيهم العرب، حتى أنّ كنيسة "نوتر دام" المشهورة في عاصمة فرنسا عمل فيها مهندسون من العرب، أما تأثير العرب في هندسة إسبانيا فظاهر ظهور الشمس والقمر " (12) .

وفي العلم الرياضي شهد المستشرق **سيديو قائل**: " والعرب حين زالوا علم الهيئة عنوا عناية خاصة بالعلوم الرياضية كلها، فكان لهم فيها القدح العلي، فكانوا أساتذة لنا في هذا المضمار بالحقيقة".

أما الفيزياء فقد أبدعوا في علم المناظر وهو علم البصريات أي الضوء وكان "ابن الهيثم" في مؤلفه المناظر الذي يبحث في الضوء وفي تشريح العين وأقسامها، والذي اعتمد فيه نهج المشاهدة والتجربة والاستنتاج، قد ترجم إلى اللاتينية، وبقي منفرداً في محتواه في هذا المجال لحق من الزمن؛ أما الكيمياء فقد توصل المسلمون بواسطتها إلى كثير من الصناعات في الصبغ والدبغ، وصناعة المعادن وتركيب العطور، ومن جانب آخر فقد "اخترعوا ملح البارود كمادة متفجرة دافعة قابلة لإطلاق القذائف، وعندهم أخذته إنجلترا ثم بقية أوروبا".

ومن فضل الإنجاز العربي أنّ العرب عرفوا طريقة عمل الجليد الصناعي، ولم تعرف أوروبا سر هذه الصناعة إلاّ في النصف الأول من القرن السادس عشر، وأدخلوا على أوروبا الورق المعمول من القطن، والورق الرخيص الثمن.

قال جوتييه: " إنّ العرب علمونا صنع الكتاب، وعمل البارود، وإبرة السفينة، فعلينا أن نفكر ماذا كانت نهضتنا لو لم يكن من ورائها هذه المخلفات التي وصلتنا من المدينة العربية".

حسبنا أن نقف عند هذا القول الذي يشهد لما كان من الأمة العربية الإسلامية ومن دور ريادي فعال في تاريخ الحضارة الإنسانية من ابداعات وابتكارات ساهمت بشكل أو بآخر في عيش كريم كما كانت منطلق لأي نهضة فكرية إنسانية أخرى

إنّ الحديث عن هذه الإسهامات والابتكارات لم يكن من باب التغني بالمجد القديم أو الوقوف على الأطلال، إنّها دراسة موضوعية أردنا أن نبين فيها كيف كان العقل الإسلامي فعالاً متخذاً دور الريادة في إرساء دعائم حضارة إنسانية بكل ما تحمله الكلمة من معنى

ب- الحنكة السياسية العسكرية :

امتاز التاريخ الإسلامي بكثرة الفتوحات ودعوة الآخر لمعرفة الدين الإسلامي وما يحمله من قيم أخلاقية ومبادئ إنسانية، ولم تكن هذه الفتوحات مجردة إلا لغاية وحيدة هي اتباع خطى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وتعريف الآخر بوحدانيته تعالى، وتاريخ الفكر الإنساني يشهد أنّ المسلمين لم يجعلوا من فتوحاتهم سبيلاً لزهق الروح ولا سالت أودية من الدماء إلا في الأزمنة الأخيرة حين طغت الأنانية وطغى الجشع على حكامها، فكان قادة الأمة العربية الإسلامية وجنودها على نهج ما تلقوه من الرسول صلى الله عليه وسلم، فكانت الرحمة والرفق بالمرأة والشيخ والصبي والعزل، كما كان الوفاء بالعهد في المواثيق والعهود؛ فتح لدعوة الآخر إلى دين الحق بالحسنى دون زهق للأرواح ودون المساس بأي حق من حقوقها إلا إذا تطلب الأمر ذلك.

لكن في الوقت نفسه لا يسمح لأي كان أن يمس أو يتعدى على الفرد المسلم، فلم يكن وقتها صمت، ولم تكن بلبلّة دون فعل وهذا ما وجدناه عند "المعتصم بالله" الذي جهز جيوشاً وفتح حرباً لاستغاثة امرأة استنجدت به، إنها حادثة تاريخية برهنت للعالم أجمع أنّ للمسلم عزّة قد حركت جيوشاً بأسرها، وهي أنه في عهد الدولة العباسية كان هناك مدينة صغيرة تنفرد بجمالها وموقعها الاستراتيجي المتميز إذ تقع على الحدود الفاصلة بين الدولة العباسية، ودولة الروم ولأهمية موقعها أراد ملك الروم الاستيلاء عليها وبالفعل استعد لذلك وجهاز جيشاً قوياً وغزا المدينة وعامل جنود ملك الروم أهل مدينة عمورية أسوأ معاملة وكعادة جيش الروم في كل معاركهم عدم احترام النساء فقد قاموا بأسرهن وكان من بين النساء اللاتي أسرن الروم فتاة جميلة تم حملها كغيرها من النساء إلى سوق العبيد ونادى المنادي لبييعها فأعجب بها أحد رجال الروم وقرر أن يشتريها من المنادي ودفع ثمنها وامسكها من يدها ليأخذها معه ولكن الدموع ملأت عينيها، وأخذت تصرخ بشدة، وصوت عالي جداً لفت أنظار الجميع وكانت تقول وامعتصماه .. وامعتصماه، الفتاة تصرخ وامعتصماه .. والرجل الرومي يجلدها .. كلما صرخت الفتاة وامعتصماه أخذ الرجل يضربها بسطوة شديدة ولحسن حظ الفتاة جاء ليرى هذه المأساة رجل عربي متنكر فركب فرسه متجهاً بسرعة شديدة إلى بغداد قضى ذلك الرجل عدة أيام ليصل إلى بغداد لكي يقابل الخليفة العباسي "المعتصم بالله" ويحكي له ما رآته عيناه وكيف كان حال الفتاة .. وكيف عاملها الرجل الرومي ووصل الرجل إلى المعتصم بالله واستأذن الجنود ليدخل إليه، وسرد له ما حدث بكل دقة؛ استمع المعتصم بالله إلى الفتى وثار غضبه واستدعى المعتصم بالله رسولاً من بلاطه ليرسل معه رسالة إلى أمير عمورية وقال له فيها كلمات قاسية للغاية، وهي كالتالي: رسالة المعتصم إلى أمير عمورية " .. بسم الله الرحمن الرحيم " من أمير المؤمنين المعتصم بالله .. إلى كلب الروم .. لتخرجن من المدينة أولاًخرجنك منها صاغراً ذليلاً "

وعندما وصلت الرسالة إلى أمير عمورية بعد أيام قليلة جاء رسول المعتصم بالله لينقل له رد ملك الروم والذي قال لرسول المعتصم " ليفعل أميركم ما يعتقد أنه قادر على فعله " سمع المعتصم بالله ما قاله رسوله فزاد غضبه وقرر محاربة ملك الروم.

جهز الخليفة المعتصم جيشه الجرار واستدعى أقوى قواده وكان قد وصل عدد رجال الجيش إلى حوالي تسعين ألف رجل، وحرص الخليفة المعتصم بالله على أن يأخذ معه الرجل الذي أبلغه بقصة الفتاة ليدله على مكانها ووصل جيش المعتصم إلى مدينة عمورية ولما سمع الروم بخبر وصول جيش المعتصم تملك الخوف، والفرع منهم وشدّدوا الحصار على المدينة وبالفعل عجز جيش لمعتصم على اقتحام أسوار المدينة في البداية ولكن جيش المعتصم لم ييأس وحاصر المدينة من جميع نواحيها وقاموا بهدم الأسوار التي بناها جيش الروم واستخدموا في ذلك الفيلة، والمجانيق ولما رأى أهل الروم رماح جيش المعتصم هرب عدد كبير منهم وجرت دمائمهم كالسواقي بعد أن دارت معركة بين جيش الروم وجيش المسلمين انتصر خلالها جيش المسلمين وتمكن جيش المعتصم من السيطرة على المدينة وأسروا عدد كبير من القادة، والزعماء وقام جنود جيش المعتصم بإشعال النيران في خيام جنود الروم وتخلصوا من آثارهم وعادت المدينة إليهم.

بعد أن انتهت المعركة مع الروم استدعى جنود المعتصم بالله الفتى الذي جاء إلى بغداد وحكى لهم قصة الفتاة وطلبوا منه أن يحدد لهم بالضبط مكان الفتاة ووصل "المعتصم"، وجنوده إلى الفتاة، وإلى سيدها الرجل الرومي وتمكنوا هناك من تحرير هذه الفتاة وليس ذلك فقط بل جعل سيدها الرومي عبداً لها ثم سأله المعتصم بالله سؤاله الشهير الذي كتبه التاريخ ولم ينساه العرب المسلمين أبداً والسؤال هو .. هل لي المعتصم ندائك...؟⁽¹³⁾.

ث- عمر بن عبد العزيز والرخاء الاقتصادي:

يعتبر "عمر بن عبد العزيز" ثامن الخلفاء الأمويين وخامس الخلفاء الراشدين، ورغم قصر مدة حكمه إلا أنه بمحنه وحسن تسييره عرف كيف يغني أمته من الفقر ويقضي حاجتها بكل عزة ونخوة، إذ يمكن القول أنّ زمنه كان زمن رخاء لم تعرفه الأمة الإسلامية إلى يومنا هذا، ورغم ما كان من خلط في الأمور عند استلامه الحكم إلا أنه استطاع أن يسيطر على الوضع وأن يتجاوز الأزمة الاقتصادية الذي وجد نفسه أمامها، أزمة كانت من سوء تسيير سابقه من انحراف عن المنهج الحق، " كأن تجي الجزية ممن دخل في الإسلام، في بعض البلدان. وأن ينال البعض المال إلى درجة الترف، ويحرم منه آخرون. وامتياز أقارب الخليفة وبعض المسؤولين في الدولة بمزايا ومخصصات مالية من خزينة الدولة، وهي ما عرف في عهد عمر (بالمظالم)، وشراء بعض الولاة لأراض تعود ملكيتها لبيت المال، فينقطع دخلها عن خزينة الدولة. ونحو ذلك"⁽¹⁴⁾، علم "عمر بن عبد العزيز" أنّ الأزمة التي أمامه هي نتاج المظالم وسوء تدبير أموال الرعية، كما

علم أنّ السر يكمن في اتباع الحق في توزيعه وفي تسييره، فانتهج نهج الرسول صلى الله عليه وسلم كما انتهج خطى الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فكتب إلى أهل المدينة لينسخوا له كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهديه في توزيع الصدقات، وإلى سالم بن عبد الله بن عمر بنسخ كتاب عمر في ذلك.

نظر "عمر بن عبد العزيز" إلى أموال الأمة نظرة كلها حرمة وقداسة، فالأموال هي أموال عامة ثابتة لكل فرد في الأمة، ودولة وبكامل أجهزتها مسؤولة على الحفاظ عليها، فقد كان يقول: "أنا حجيج المسلمين في أموالهم". كان من سماته أنه يكره أن يبدد شيئاً من مال مهما كان ضئيلاً، فما عرف عنه أنه شديد الحاسبة إذ كان له سراجان: سراج من ماله يكتب عليه حوائجه، وسراج لبیت المال يكتب عليه في مصالح المسلمين، ولا يكتب على ضوءه لنفسه حرفاً واحداً، كما كان تسرج عليه الشمعة ما كان في حوائج المسلمين، فإذا فرغ من حاجتهم، أطفأها، ثم أسرج عليه سراجاً

حوى بيت المال أموال الزكاة، والخراج، وضرائب الجزية، والغنائم والتركات التي لا وارث لها، وغيرها من أنواع الدخل العام، فضلاً عن رد المظالم منها الأموال التي كانت مخصصة للأمرء وأشباههم، وانتزاع الأراضي من أيديهم، وضمها إلى ملكية الدولة؛

لم تكن الغاية من وجود بيت المسلمين إلاً لرفاهية الناس، ورفع مستواهم المعيشي، وتحسين أحوالهم المادية، والقضاء قدر الإمكان على الفقر وكان هذا لعمر بن عبد العزيز الذي سد حاجة كل محتاج من قريب أو من بعيد، إذ يشهد له التاريخ بالعطاء و"النفقات وإغناء الناس حداً لم تصل إليه دولة في الأرض من قبله ولا من بعده، حتى عصرنا، حيث أعلن في أقطار دولته المترامية الأطراف أنّ من يريد الزواج ولا يستطيع القيام بنفقاته وتبعاته المالية، فبيت مال المسلمين يكفيه هذا الشأن" (15)

عم الرخاء، لدرجة أنّ الشكوى ما زالت مستمرة بعدم وجود أماكن لتخزين الأموال والخيرات!، فيرسل "عمر بن عبد العزيز" رضي الله عنه إلى ولاته: "عُودوا ببعض خيرنا على فقراء اليهود والنصارى حتى يستكفؤا"، فأعطوا، والشكوى ما زالت قائمة، فقال: وماذا أفعل، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، خذوا بعض الحبوب وانثروها على رؤوس الجبال فتأكل منه الطير وتشبع. حتى لا يقول قائل: جاءت الطيور في بلاد المسلمين - فأى رخاء هذا وأي حضارة هذه.

مما سبق ذكره يمكن القول إنه لم يسبق أن شهد تاريخ الفكر الإنساني أحداثاً كما شهدتها الحضارة الإسلامية، وإن كان هذا يدل على شيء فإنما يدل على مدى الاعتزاز بهويتها وبنخوتها وهنا نجد أنفسنا أمام إشكال يطرح نفسه، هل بقي حال الهوية العربية الإسلامية على ما هو عليه، من ريادة وإنجاز فكري وعلمي، وعزة وكرامة، ما طبيعتها في وقتنا الراهن، لنجد أنّ الحث في هذا قد تضمن ما يلي:

5- ضعف من بعد قوة وأفول النجم الساطع:

لم يستمر الحال على ما هو عليه وسرعان ما انهارت الحضارة الفريدة من نوعها ما إن تخلى قوادها عن تعاليم الدين الحنيف، فبتعاليمه وصلوا إلى الريادة وبفقدانه انحدروا أسفل سافلين، ولم يكن ليحدث هذا لولا الجشع والطمع الذي سيطر على الحكام والملوك والأمراء لدرجة أنهم تحالفوا مع العدو ضد بعضهم البعض لأغراض دنيوية: مصالح شخصية، طمع، جشع؛ وبهذا بدأ أفول نجم الحضارة الإسلامية، ليتقهقر الوضع في جميع ميادينه، الفكرية والثقافية، السياسية والاقتصادية، فلم يبق شيء يبعث على الاعتزاز بهذا الانتماء، وتطبيقا للمعادلة الخلدونية القائلة بأنّ المغلوب مهوس باتباع الغالب سرعان ما أصبح الفرد المسلم مولعا بحضارة غيره حضارة اليوم، الغرب الذي استلم المشعل من سابقه وواصل الإنجاز ليؤسس هو الآخر حضارته التي نحن نرى تعاليمها اليوم

لذا كان أن هزعت بعض من العقول العربية للنهل من الفكر الغربي، كما حملت على عاتقها قضية النهوض بالأمّة العربية واللاحاق بالركب الحضاري والانفتاح على الآخر كمحمد عبده وطه حسين وغيرهم ممن وجدوا أنّ ضالة المؤمن للحاق بالركب الحضاري لا تكون إلّا باتباع خطوات الآخر الذي استلم مشعل الحضارة وبلغ فيها أمدا بعيدا.

6- ضياع الأنا:

لم يكن أبدا باليسير على الأمّة العربية الإسلامية أن تستسيغ الوضع الذي آلت إليه، فراح أفرادها يبحثون عن الكيفية التي يستردون بها ما ضاع منهم في شخص الآخر فكان هناك ازدياد الأنا واشتمزاز لها، الأمر الذي أدى إلى الانسلاخ منها والسعي إلى تقمص شخص الآخر، وإذا كان التاريخ كما رأينا يشكل إحدى المقومات الأساسية للهوية فإننا نجد أنّ هناك من وصل حتى إلى استبدال هذا التاريخ وإنكاره لا لشيء إلّا للتقرب من الآخر - الغرب - ، انبهار بهذا الأخير كانت نتائجه وخيمة على العديد من الأيديولوجيات التي نادى بها بعضا من العقول العربية ودعت إليها، فأصبح حال أمتنا اليوم حال التائه الفاقد لهويته الساعي وراء تلفيقها بهوية الآخر والتبعية المطلقة له، تعبيرا عن عدم الاعتراف بعجزها، إذ نجد أنّ "طه حسين" لم يجد أي حرج في دعوته الصريحة لبلده مصر من أن تعتبر نفسها جزءا من الغرب⁽¹⁶⁾ وراح يجند كل أبحاثه لإثبات أنّ العقلية المصرية عقلية أوروبية أو قريية منها، ولها اتصال وثيق بالعقلية اليونانية، وبعيدة كل البعد عن العقلية الشرقية، وهي منذ قديم الزمان ، منذ العهد الفرعوني لم تتأثر بالطارئ عليها في أي عصر فمن "السخف الذي ليس بعده سخف اعتبار مصر جزءا من الشرق، واعتبار العقلية المصرية عقلية شرقية كعقلية الهند والصين"⁽¹⁷⁾، فكانت رؤيته مفعمة بطابع القداسة للحضارة الغربية وهو يدعو لجعل الأوروبي والأمريكي النموذج الكامل للحضارة الإنسانية، فيدع إلى مشاركتهم فيها وهذا

بانتهاج مناهجهم ومشاركتهم أذواقهم وأحكامهم لدرجة قائلا: "...أن نسير سيرة الأوروبيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أندادا ولنكون لهم شركاء في الحضارة خيرها وشرها، حلوها ومرها وما يحب منها وما يكره وما يحمد منها وما يعاب"⁽¹⁸⁾، ويضيف أيضا: " وأن نشعر الأوروبي بأننا نرى الأشياء كما يراها، ونقوم الأشياء كما يقومها، ونحكم على الأشياء كما يحكم عليها"⁽¹⁹⁾، عبارات صريحة توحى بمفهوم الإنسان الكامل الذي يتطلع إليه طه حسين كما يدعو للاقتداء به، مستدركا أنه شئنا أم أبينا فهذا ما يمثل واقع الأمة العربية الإسلامية اليوم التي ما تلبث أن تجتر نتاج الآخر الفكري والسياسي والاقتصادي والثقافي-وإننا لنوافقه في هذا-، الأمر الذي أدى بالأمة العربية الإسلامية إلى فقدان توازنها بفقدان معايير وأسس أنظمتها فما كان إلا أن تجتر كل ما يصدر من الآخر اجتارا لا واعيا فسقطت بذلك في حفرة اللا انتماء وهذا ما نقصد به بالاغتراب الذي نرى أنه كان في الصور التالية:

*-**الاغتراب الثقافي:** لم يعد هناك أدنى فرق بين الفرد المسلم ونظيره الغربي في المظهر الخارجي، فالملاحظ على شباب الأمة الإسلامية غالبيتها إناثا وذكورا تكاد أن تنسلخ من ذاتها وتستبدلها بذات غربية، وهذا بين واضح في الصورة الخارجية من المظهر الخارجي في الثياب، تسريحة الشعر وحتى في طريقة المشي، ثم التكلف والمبالغة في التخاطب باللغة الأجنبية.

*-**الاغتراب الديني:** وهو التخلي عن الكثير من مبادئ الدين الحنيف واستبدالها بمبادئ دخيلة من الفكر الغربي، كالاحتفال برأس السنة الميلادية، وهو يعد احتفال بعيد المسيح عليه السلام، عيد النصر، ففي كل سنة ميلادية نجد احتفالا بعيد ميلاد المسيح منتهجين في ذلك طرق الاحتفال الغربية من غناء ورقص، وشمع، والشجرة المزينة بمصابيح ملونة وألعاب نارية (...). إلخ، الأمر الذي أدى إلى اعتقاد كل من يحضر ويشاهد هذا أنه حتما في بلد غربي مسيحي لا بلد عربي مسلم.

*-**الاغتراب السياسي:** استيراد الأنظمة السياسية الغربية والعمل بها، وتطبيق نظام أحكامها حتى وإن تعارض هذا ومبادئ الدين الحنيف⁽²⁰⁾.

7- خاتمة:

تبقى الهوية هي ما تميز الفرد عن غيره، كما تبقى مقوماتها هي ما يؤسس لها وما تقوم عليه، - من لغة، معتقد، فكر، ثقافة، (...) إلخ وهناك اتفاق على أنّ أي مساس بأحدها هو المساس بوجودانه وكيان أمته، لذا كان الاعتزاز بالهوية الفردية أمرا لازما لدى الخاص والعام، الأمر الذي لم نجده - بنسبة كبيرة - في الهوية العربية الإسلامية - ، وهنا دعت الحاجة إلى تدارك الأمر والسيطرة على الوضع وهذا من خلال النقاط التالية:

تربية الطفل منذ الصغر على الاعتزاز بهويته العربية الإسلامية وهذا بتلقيه دروسا وبرامج في المؤسسات التربوية، المراكز التعليمية، دير الثقافة، المساجد، الوسائل الإعلامية، وتوعيته بأنّ التقدم والتحضر لا يعني أبدا التخلي عن مبادئه وأسس تنشئته.

-الحرص على التمسك باللغة العربية.

-الاهتمام بالمواطن والعمل جاهدين على تلبية حقوقه المتمثلة في العمل، السكن، (...) إلخ لأنّ الفرد إذا توفرت له الشروط الضرورية لحياة كريمة أكيد أنه سيعتز ببلده وينبذ الهجرة غير الشرعية وبالتالي يحفظ كرامته وإنسانيته.

-التعريف بمجد الأمة العربية الإسلامية وبحضارتها والحث على استرداد الأنا.

هذه بعضا من الحلول التي نقترحها ولم نخططها سوى لغاية وحيدة وهدف أسمى ألا وهو الحفاظ على الهوية العربية الإسلامية ومنه الحفاظ على أمتنا من التلاشي والانقراض.

الهوامش:

- 1- جلال الدين سعيد، مفاتيح معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب، تونس، (د-ت)، ص 495.
- 2- أندري لالاند، الموسوعة الفلسفية، منشورات عويدات، باريس، 2001م، م1، ص 607.
- 3- رياض زكي قاسم، الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، لبنان، 2013م، سلسلة المستقبل العربي، عدد 68، ص 25.
- 4- عبد السلام المسدي، الهوية العربية والأمن اللّغوي - دراسة وتوثيق -، المركز العربي للأبحاث، قطر، 2014م، ص 262.
- 5- جون جوزيف، اللّغة والهوية - قومية، إثنية، دينية، سلسلة عالم المعرفة عدد 342، الكويت، 2007م، ص 72.
- 6- عبد العزيز الدوري، التكوين التاريخي للأمة العربية - دراسة في الهوية والوعي -، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 1984م، ص 37.
- 7- محمد السيد عبد الرحمن، مقياس موضوعي لرتب الهوية، دار قباء، القاهرة، 1998م، ص 39.
- 8- حسن حنفي، الهوية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2012م، ص 23.
- 9- عبد العزيز الدوري، التكوين التاريخي للأمة العربية - دراسة في الهوية والوعي -، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1983م، ص 84.
- 10- عبد الله ناصح علوان، معالم الحضارة في الإسلام وأثرها في النهضة الأوروبية، دار السلام، (د-ت)، ص 29.
- 11- محمد كرد علي، الإسلام والحضارة العربية، ص 223.
- 12- غوستاف لوبون، حضارة العرب، هنداوي، القاهرة 2012م.
- 13- الحافظ بن كثير، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، 1990م، ج10، ص 286. / أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك - تاريخ الطبري -، بيت الأفكار الدولية، (د-ت) ص 1852.

-
- 14- عبد الستار الشيخ، عمر بن عبد العزيز -خامس الخلفاء الراشدين-، دار القلم، دمشق، 1996م، ص 295.
- 15- المرجع نفسه، ص 311
- 16- أبو الحسن علي الحسيني، موقف العالم الإسلامي اتجاه الحضارة الغربية، (المجمع الإسلامي العلمي، الهند، 1963م ص 82.
- 17- طه حسين، مستقبل الثقافة في مصر، ، دار المعارف، القاهرة، (د-ت)، ص 24.
- 18- المرجع نفسه، ص 41.
- 19- المرجع نفسه ص 41.
- 20- حلیم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية - متاهات الإنسان بين الحلم والواقع- مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2006م، ص 53.